

خطبة بعنوان: الحج في زمن الأوبئة

بتاريخ: 7 ذو القعدة 1442هـ - 18 يونيو 2021م

عناصر الخطبة:

أولاً: قوام الشريعة على جلب المصالح ودرء المفاسد

ثانياً: أعمال تعدل أجر الحج في الجزاء

ثالثاً: الأعمال بالنيات

الموضوع

الحمد لله رب العالمين؛ القائل في كتابه العزيز: { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } . (آل عمران : 97). وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. **أما بعد:**

أولاً: قوام الشريعة على جلب المصالح ودرء المفاسد

إن الشريعة الإسلامية الغراء جاءت لجلب المصالح للبشر ودرء المفاسد عنهم ؛ يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: « وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل» [الموافقات].

وبما أن ظروف كورونا التي أصابت العالم كله ، وعم ضررها الأغنياء والفقراء ، فقد وازنت الشريعة الإسلامية بين مصالح الدين والدنيا ، وشرعت لهما ما يناسب حالهما بما يحقق مصالح البلاد والعباد التي هي من أهم غايات الشرع الحنيف ؛ ولما كانت شعيرة الحج تجمع المسلمين من كل فج عميق ، أصبح الخطر والضرر أشد على حجاج بيت الله الحرام من أثر الأوبئة وانتشارها وسط الزحام .

والمأمل في ركن الحج يجد أن الإسلام لم يفرضه إلا على المستطيع ، قال تعالى: { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } . (آل عمران : 97) ، ويقول سبحانه: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا } . (الطلاق: 7).

كما نظرت الشريعة الإسلامية إلى حماية النفس من الضرر والهلاك على أنها من الكليات الست الضرورية وعملت على حفظها من كل ما يعرضها للهلاك، قال تعالى: { وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } . (البقرة: 195).

وقد ثبت أن من أهم أسباب انتشار الوباء هو الاختلاط والتجمعات، وهو ما يقتضي منع الناس من أن يخاطروا بأنفسهم إلى التجمعات الكبيرة أيًا كان نوعها أو مقصدها؛ وقد سبقت به السنة النبوية المطهرة منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان؛ فقال صلى الله عليه وسلم: " لَا يُورِدَنَّ مَرْمِضٌ عَلَى مُصِحِّحٍ " . (البخاري ومسلم). وقال أيضًا: " إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا؛ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا " . (البخاري ومسلم).

وهذا كله أخذًا بكل أسباب الوقاية تحرزًا من نقل البلاء إلى الآخرين .

وقد رجع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يدخل بلاد الشام حينما أراد فتح بيت المقدس تطبيقاً للتعاليم النبوية ؛ ف قيل له: أتفر من قدر الله يا عمر؟! فقال: نفر من قدر الله إلى قدر الله!! (البخاري ومسلم).
وهكذا جاءت مرونة الشريعة الإسلامية في الموازنة بين المصالح والمفاسد ؛ لتحقيق الخير للمجتمع ودفع الشر عنه؛
في ضوء فقه الأولويات .

ثانياً: أعمال تعدل أجر الحج في الجزاء

إن كثيراً من المسلمين يشناقون إلى أداء شعيرة الحج ؛ وتهوي أفئدتهم إلى زيارة المسجد الحرام؛ أقول لكل
المشتاقين: اعلموا أن من رحمة الله - تبارك وتعالى - بعباده أن جعل من حالت دونه السبل عن الحج لعذر شريكاً
لمن ذهب في الأجر، بل شرع الله لنا أعمالاً تعدل أجر الحج والعمرة ، لكن لا تغنيه هذه الأعمال عن حج
الفريضة إذا بلغ حد الاستطاعة؛ وهذه الأعمال لا تكلفك تأشيرةً ولا مالاً ولا سفراً، وقد جمعتها لكم مدعمة
بالأدلة الصحيحة الصريحة من القرآن والسنة ومن أهم هذه الأعمال:-

المكث في المسجد بعد صلاة الفجر حتى الشروق ثم صلاة ركعتين:

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ” من صلى الغداة في جماعة، ثم قعد يذكر
الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة و عمرة تامة تامة تامة”. (الترمذي بسند صحيح).

ومنها: حضور صلاة الجماعة والمشبي إلى صلاة التطوع:

فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أبي أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ”من مشى
إلى صلاة مكتوبة في الجماعة فهي كحجة، ومن مشى إلى صلاة تطوع فهي كعمرة نافلة . وفي رواية : ومن مشى
إلى سبحة الضحى كان له كأجر المعتمر “. (صحيح الجامع) .

ومنها: حضور مجالس العلم في المساجد:

فعن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ”مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ،
كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًا حِجَّتُهُ”. (الطبراني بسند صحيح).

فضلاً عن نزول السكينة والرحمة والمغفرة عليهم، فقد أخرج مسلم؛ عن أبي هريرة رضى الله عنه؛ عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال: ” ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم
السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده” .

ومنها: الأذكار بعد الصلاة:

فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه : ” أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :
ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك؟ قالوا: يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم
ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق، ولهم فضول أموالهم يحجون ويعتمرون، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة، قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤته من يشاء .

ومنها: عمرة في رمضان:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لامرأة من الأنصار يقال لها أم سنان: "ما منعك أن تكوني حججت معنا؟ قالت: ناضحان كان لأبي فلان - تعني زوجها - حج هو وابنه على أحدهما، وكان الآخر يسقي عليه غلامنا، قال صلى الله عليه وسلم: فعمرة في رمضان تقضي حجة، أو حجة معي". والناضح: الجمل .

ومنها: برُّ الوالدين:

أخرج أبو يعلى بسند جيد: أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه؛ قال: هل بقي من والديك أحد؟ قال: أمي، قال: قابل الله في برها، فإن فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد **وبعد**: فهذه بعض الأعمال التي تعدل أجر الحج؛ فالزموها حتى تنالوا ثواب الحج بصدق نياتكم .

وهنا تنبيه مهم: هذه الأعمال تعدل الحج في الجزاء لا في الإجزاء فمن عملها لا تسقط عنه حجة الإسلام . يقول الإمام النووي عن فضل العمرة في رمضان: " تعدل حجة : أي تقوم مقامها في الثواب ، لا أنها تعدلها في كل شيء ، فإنه لو كان عليه حجة فاعتمر في رمضان لا تجزئه عن الحجة " . (شرح النووي) . فمن وجب عليه الحج وتحققت عنده الاستطاعة؛ فعليه حجة الإسلام بعد رفع البلاء والوباء بأمر الله تعالى .

ثالثاً: الأعمال بالنيات

إن النية تلعب دوراً كبيراً في مجال العبادات ؛ وقد يصل الإنسان بصدق نيته أعلى المراتب في الإسلام؛ فمن كان قد نوى الحج أو العمرة هذا العام فحبسته نازلة أو جائحة أو وباء أو نحو ذلك كالظروف الراهنة؛ فتصدق عن طيب نفس بكامل قيمة نفقاتهما وتكاليفهما للمحتاجين أو للأجهزة أو المستلزمات الطبية؛ كتب الله له مثل الذي حج؛ وكان أجرهما سواء ، فعن أبي كبشة الأعمري، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرِزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النَّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنَيْتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرِزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْطِئُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرِزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنَيْتِهِ فَوَزَّرَهُمَا سَوَاءٌ " . (الترمذي وصححه) .

